(٥)
حادث قصر النيل ودور النديم فى تحويله إلى حركة شعبية

لما كانت الفروق الطبقية والميل إلى التعصب الجنسى واضحيْن فى صفوف الجيش، فالوظائف المهمة والرتب والنياشين والمكافآت كانت تعطى للشراكسة والأتراك وغيرهم، بينما كان المصريون محرومين من هذه المزايا بل وعاملهم عثمان رفقى ناظر الجهادية بالذل والاحتقار، وسعى فيما يوجب لهم الحرمان والإضرار فحرم أغلبهم من خدمة الوطن رغم استعدادهم وأهليتهم، مما أورثهم عدم الأمن والطمأنينة على أنفسهم ومستقبلهم، كما كلف المصريين بأعمال بعيدة عن مهنة الجندية وسن قانونا للقرعة العسكرية يمنع بمقتضاه الوطنيين من الترقى إلى رتبة الضباط، مما دفع الضباط الوطنيين إلى التذمر فكتبوا

عريضة إلى رياض باشا رئيس النظار فى يناير ١٨٨١ للمطالبة بوقف الظلم والمحسوبية وأن يكون ناظر الجهادية مصريا، ولما أحسوا بإهمال مطالبهم واعتبارها من قبيل العصيان، وقعت حادثة ٤ فبراير ونجح الضباط الوطنيون فى فرض إرادتهم فعزل عثمان رفقى وتولى محمود سامى البارودى مكانه فازداد اتحاده مع العرابيين وأعلن قوانين جديدة وعادلة للجيش تعد بالمساواة للجميع.

لقد بارك الشعب حركة الضباط وأيدها حيث وجد فيها تنفيسا عن آلامه فى التخلص من ربقة الأجنبى واستبداده، وأصبح عرابى وزملاؤه فى نظرهم محل تقدير واعتزاز، فوفدوا عليه يبثون إليه شكواهم، كما هطلت عليه عرائض الفلاحين من أنحاء البلاد حيث وجدوا فيه قائدا يستطيع أن يرفع عنهم الضرائب والمظالم التى أثقلت كواهلهم ففتح عرابى قلبه للجميع بقدر ما يستطيع، وأصبح زعيما ترنو إليه الأنظار حيث التقت أهدافه بأهداف أبناء وطنه.

ومع أن حادث ٤ فبراير وقع من أجل هدف محدد هو معاملة أبناء الفلاحين فى الجيش من حيث قصر الترقيات على غيرهم وشعورهم بالظلم إزاء رؤسائهم من الجراكسة فقد تحول إلى حركة شعبية، وكان النديم وراء ذلك إذ استغل مباركة الشعب

لموقف الضباط فأشار على عرابى بطبع منشور يطلب فيه من الشعب أن يفوضه فى المطالبة بحقوقه ، والتحدث باسمه فيما يتعلق بشئون البلاد وقد وافق عرابى على صيغة المنشور وكلف النديم بتوزيعه على الأهالى .

وقد وزع النديم المنشور ، كما أخذ يبث الأفكار الثورية بين مشايخ العربان وعمد البلاد وأعيانها وعلمائها وتجارها وكافة الأهالى استجلابا لمساعدتهم ثم أخذ فى جمع التوقيعات منهم ، ودعاهم إلى نصرة عرابى وأخذ يعلمهم فوائد الحرية ومعانى الدستور وقيمته فى أسلوب سهل يفهمه الناس ولسان فصيح مفلق ، كما كان يصعد إلى منابر المساجد ويخطب فى الناس علانية ويعلن على رءوس الأشهاد فى البلاد التى يطوف بها انضمامه إلى منظمة الجيش وينادى فى الناس بالاجتماع حولها حتى يتخلصوا من حياة الذل والعبودية والاستبداد .

عاد النديم إلى القاهرة ومعه العرائض الكثيرة الموقع عليها من الأهالى بتوكيل عرابى فى الدفاع عن حقوقهم وتخليصهم من ربقة الاستغلال الذى أثقلهم ففرح بها عرابى ، وكان لها أكبر الأثر فى تقوية العزائم مما دفع البعض إلى أن يطلقوا على هذه العرائض "المحضر الوطنى" ، كما جاءت فى أثر النديم الوفود لمبايعة عرابى على تخليصهم من الظلم الذى ضيق عليهم

حياتهم وأفسدها، وفوضوا إليه العمل لما فيه سعادة البلاد وخلاصها من براثن الاستبداد، حيث اعتبروه القائد المرتقب الذى سينجى البلاد من المظالم الداخلية والأخطار الخارجية فاستقبلهم عرابى فى منزله الذى كان يمتلئ بالناس كل يوم وفى مقدمتهم أنصار الحركة الوطنية، وقد استغل النديم ذلك فى إبراز قدراته الخطابية، وهكذا تحولت الحركة العرابية من حركة عسكرية إلى ثورة شعبية.